اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر
والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض
وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود
بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر
بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح
للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا
انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت
اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل
اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل
هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها
زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها
غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا
لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه
اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل
عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون
من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال
هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته
الطعام كلهم فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعمل هنا وثم
وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة
العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك

ذرية طيبة لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه
فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائي
فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او
حال آخر او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا حمزة وابن عامر بالكسر على
ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه
للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات
التي هي من عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي
انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او
كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة
واستعظام او استفهام عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع و
تسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من
الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد
من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او الله مبتدا
وكذلك خبر اي على هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية
علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس
ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله و
شكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا
اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين
كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهي
مؤكدة لما قبلها مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي
من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى
وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك و
اصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا
او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها و
الاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب و
تطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد

Copyright © King Saud University